الفصل السابع عشر

حَيّ الصحف في لندن

فليت ستريت

.....

يحتل فليت ستريت « شارع الأسطول » قلب لندن . وفيه بالذات دار جريدتي الديلي اكسبريس والديلي تلغراف وإلى اليمين دار شركة رويتر ومكاتب الصحف الاقليمية ، ومراسلي الصحف الأجنبية . وأما دور الصحف الأخرى فتقع في الشوارع المجاورة لهذا الشارع .

وبالرغم من اختفاء جرائد كثيرة في السنوات الأخيرة فلايزال بمقدور القارىء أن يجد جريدتين أو أكثر تلائم ذوقه مالم تكن له أذواق خاصة أو شاذة . وتتألف جرائد لندن اليومية الكبرى الثمانية من جريدتين من الطبقة الخاصة وهما التيمز (تأسست عام ١٧٨٧) والديلي تلغراف والمورننج بوست ، وأربع جرائد شعبية هي الديلي

اكسبريس والديلى هيرالد والديلى ميل والنيوز كرونيكل وجريدتين مصورتين هما الديلى ميرور والديلى سكتش . وعلاوة على هذه الجرائد الثمانية توجد جريدتان لهما طابعهما الخاص وهما المورننج أدفرتايزر (تأسست عام ١٧٩٤) وهى لسان حال « الجمعية المتحدة لأرباب الفنادق » وجريدة الديلى ورکر وهى لسان حال الحزب الشيوعى . وهناك جريدتان ماليتان هما الفاينشل نيوز والفاينشل تايمز وتنشران بعض الأخبار العامة أيضا .

أما النيوز كرونيكل فهى وليدة أربع من جرائد الأحرار ، وعلى الرغم من أنها مستقلة عن حزب الأحرار من الوجهة الرسمية ، غير أنها تعبر عن آراء العنصر الراديكالى وأحيانا تبالغ الناحية اليسارية كالديلى ورکر الشيوعية .

ومع أن جرائد الديلى تلغراف والديلى ميل والديلى اكسبريس تزعم أنها محافظة مستقلة ، غير أن صفة المحافظة تبدو فى الديلى تلغراف أكثر من زميلتيها .

وهناك الماشستر جارديان التى هبطت نسختها إلى ثلاثين ألف واليوركشير بوست .

ومن صحف الأحد الرينولدنيوز صحيفة التعاونيات ، والأوبزرفر والصنداى تايمز ، ونيوز أوف ذى ورلد ، وبيوبل .

ملكية الصحافة

تتنوع الملكية فى الصحافة البريطانية إلى أقصى حد يتصوره الفكر . فاذا أدخلنا فى عداد الجرائد « لندن غازيت » حصلنا على جريدة من بينها يمتلكها ويصدرها التاج . وكانت أكثر جرائد لندن تمتلكات عائلية كما لا تزال أكثر الجرائد الاقليمية . ولا يزال فى ميدان دار الطباعة (مطابع التايمز) أحد أفراد عائلة والتر التى كانت فيها عام ١٧٨٥ عند تأسيس الجريدة ، ولكن الأسهم المسيطرة فى التايمز يمتلكها ج . ج . استور منذ ١٩٢٢ . وتمتلك عائلة كادبرى الأسهم المسيطرة على جريدتى النيوز كرونيكل وستار . أما جرائد لندن الأخرى فيمتلكها أو يسيطر عليها أفراد قد يؤسسون بدورهم عائلات مالكة فى عالم الصحافة كاسرة والتر . ويمتلك جريدة الاوبزرفر اللورد استور — شقيق ج . استور — وللورد بيفربروك أسهم مسيطرة فى جرائد الديلى اكسبريس والايفننج ستاندارد والصندى اكسبريس .

ويمتلك جريدتى الديلى ميل والديلى ميرور جمهور متغير من حملة الأسهم . أما جريدة الديلى هيرالد فان ٤٩ فى المائة من أسهمها بيد

المجلس العام لمؤتمر نقابات العمال و ٥١ فى المائة منها تمتلكها مطابع أودهاز المحدودة وتعود ملكية جريدة رينولدز نيوز إلى الحركة التعاونية . ولما كان أكثر قرائها من التعاونيين فيمكن القول على سبيل التوسع إنها ملك قرائها . وتمتلك جمعية أصحاب الفنادق « المورننج ادفرتايزر » .

جريدة التايمز

يندر أن يكون لجريدة من جرائد العالم ما لجريدة التايمز ، التى تصدر فى لندن من النفوذ فى بريطانيا وخارجها ، مع أنها ليست أوسع الصحف انتشارا . وحسبنا أن نذكر أنه لم يزد عدد نسخها على مائتى ألف نسخة . ويرجع مقام هذه الصحيفة البريطانية إلى غزارة مادتها ، والى أن أخبارها أقرب إلى الصدق عن غيرها ، والى الثقة فى كتابة محرريها ، وفوق هذا استقلالها من جميع الأحزاب والشركات وسائر جهات النفوذ .

وقد بدأ العمل فى هذه الجريدة منذ ١٧٨٥ ، حين أراد منشؤها « جون والتار » شراء دار للطباعة مخترعا آلة الطباعة اللوجوجراف

وكان أن وفق إلى اصدار صحيفة « السجل اليومى العام » على طريقة اللوجوجراف فى أول يناير ١٧٨٥ وكانت تتألف من فرخ من الورق ذى أربع صفحات ، وجعل ثمنها أقل من ثمن الصحف الأخرى ، إذ حدد النسخة بنسين ونصف البنس . غير أن هذا لم يعد على الجريدة بالربح . ومن هنا جعل اسم الجريدة « التايمز والسجل اليومى العام » منذ أول يناير ١٧٨٨ . وفى ١٨ مارس من السنة نفسها اكتفى بأن يطلق عليها اسم « التايمز » ومعناها « الأحوال » لا كما يترجمها بعضهم خطأ « الأوقات » فللجمع معنى غير المفرد Time

وكانت أولى الأنباء الهامة التى انفردت « التايمز » بنشرها سابقة زميلاتها ما دار فى مجلس النواب الانجليزى فى ليلة ٤ مارس ١٧٨٨ عن شركة الهند الشرقية والحكومة، بما أدرجته الجريدة فى عددها الصادر فى السابعة من صباح يوم ٥ مارس . وفى ٢٥ مارس ١٧٨٨ ، أعلنت « التايمز » خطتها على النحو التالى :

(١) من أهم أعمال الجرائد تحرى الدقة والأمانة فى الأخبار على أنواعها ولهذا الغرض أنشئت التيمز وفى خدمتها طائفة من كبار المحررين والكتاب والمراسلين والمخبرين كل فيما تخصص له من موضوعات الجريدة

(٢) تنشر ابحاث البرلمان بغاية الصحة وبدون تحزب لفريق ما وبأقصى مايمكن من الايضاح واجتناب كل ما من شأنه أن يضلل الجمهور فى التعبير . وتنشر الحوادث السياسية سواء أكانت داخلية أم خارجية لاطلاع الجمهور على أصح الأخبار واحدثها . وكذلك الحال فى نشر الأخبار التجارية لأن التجارة هى المصدر الأعلى للثروة القومية وكذلك مايختص باخبار المسرح والأرياء وغير ذلك من أبواب الجريدة

« ٣ » ليس فى التايمز مكان للتعبيرات التى تحمل معنى غير ماوضعت له ، كما أن تعبيراتها تنطوى على منتهى الأدب والحشمة بعيدة عن كل ماينبو عنه السمع ويغض له البصر ويندى له الوجه خجلا .

الجريدة والثورة الفرنسية

ولم تكن هذه الخطة التى رسمتها التايمز لنفسها مجرد كلام للباهاة ، فما ان وضعتها موضع التنفيذ حتى طارت شهرتها . فلما ظهرت الثورة الفرنسية فى يوليو سنة ١٧٨٩ وهدم سجن الباستيل كانت التايمز أول جريدة انجليزية نشرت فى شهر اكتوبر خبر انتقال الملك لويس السادس عشر والملكة مارى انتوانيت من فرساى الى

باريس وأنشأ والتر فى باريس وكالة للتايمز لموافاته بالأخبار .
ولقد حوكم مرة فى قضيتى قذف انهم فى إحديهما كلا من البرنس اوف ويلز (ولى العهد) ودوق يورك بانهما فعلا مالا يجمل فعله بمقامهما السامى حتى أنهما لم ينالا رضاء الملك . وفى الأخرى دوق كلارنس لأنه ترك محطته البحرية من دون أن يستأذن رؤساءه وحكم عليه بغرامة ١٠٠ ج فى كل من القضيتين والحبس لمدة سنة فى القضية الأولى . والواقع أن التهمة التى وجهها الى ولى العهد كانت مدسوسة عليه ، جون والتر من أحد كبار الموظفين وقد أفرج عنه ولى العهد قبل انتهاء المدة . واثر السجن فى صحته ، على أن ذلك لم يفت فى عضده بل زاده حزما وعزما وثباتا مما زاد فى جرأة التيمز واستقلالها واحاطتها بجميع شؤون الصحافة . وفى سنة ١٧٩٦ لما استقال جون والتر الأول ، كان عدد ما يوزع من جريدة التايمز أضعاف ماتوزعه أى جريدة صباحية أخرى .

وخلفه ابنه الأصغر جون والتر الثانى خريج جامعة اكسفورد فتسلم تحرير الجريدة وإدارتها وهو فى سن السادسة والعشرين وكان أكثر حزما وجرأة من أبيه وقضى فى خدمة الجريدة أكثر من أربعين سنة بلغت فيها الجريدة من القوة درجة لايستهان بها حتى لقد قال بعضهم إنها صارت أكبر قوة فى البلاد

وكان ذلك العصر حافلا بالحوادث الهامة فى تاريخ أوربا الحديثة وفيه كانت معاهدة أميان وحروب نابليون ومعركة واترلو وإلغاء تجاره الرقيق وتحرير العبيد ومذابح بثيرلو وغيرها من الحوادث الجسام وكانت الحاجة ماسة حينئذ الى اتباع جادة الاستقلال والنقد القويم والموازنة بين الطغيان والانقلاب وهذا ما كان يصبو والتر الى جعله شعاراً للتايمز . ولقد ثابر على اتخاذ مبدأين رئيسيين (١)

الأول — استقلاله عن الحكومة . والثانى — أن للجمهور الحق فى معرفة جميع الأخبار بدون تأخير وقد جاهد فى سبيل تنفيذ هذه الخطة مستهدفا للخطر فى عصر كانت الحكومات تضيق فيه الخناق على الصحافة .

بدأ والتر يعضد الحكومة ولكنه رفض قبول ما عرضته عليه من الاعانة المالية . وفى سنة ١٨٠٣ م وجه انتقاده بشدة إلى أولياء الأمور على مانسب اليهم من ابتزاز أموال الأمة وعلى تقصير رجال البحرية فى نسف البوارج الفرنسية فى ميناء تولون .

---

(١) صاحبة الجلالة الصحافة — جريدة التايمز : الاستاذ اثناسيوس .

الرقابة على الجرائد

اعتادت مصلحة البريد فى ذلك الوقت أن تحجز الجرائد الواردة من الخارج برسم الجرائد الانكليزية ومنها جريدة التايمز فكانت تفتحها وتترجم ما فيها من أخبار وتوزعها على الجرائد بأجر معلوم فاذعن ولتر لهذا الحكم الجائر مدة ثم ثار على مصلحة البريد فقطعت عنه الجرائد الواردة باسمه ولكنه توصل بواسع حيلته إلى الحصول على ما أراد من الأخبار . وفى سنة ١٨٠٧ انبرى للموضوع وبسطه على صفحات التيمز فقاضته الحكومة وبعد أشهر قليلة عاود الكرة مرة أخرى مقدما الأدلة على صحة شكواه فحاولت الحكومة أن تشترى سكوته فلم تفلح وأخذها الدهش من هذه الجرائد التى لا تشترى بمال . وفى سنة ١٨١٠ نشر جون والتر بيانا مطولا بما اتخذته الحكومة من المحاولات لمنع الأخبار الخارجة عنه بحجز الرسائل الواردة باسمه وبعد ذلك اعلنته انها ستفرج عنها تفضلا منها فرفض .

زعيمة الصحافة الاوربية

واعتبرته الحكومة خصما عنيداً فشمر عن ساعد الجد وعمل على زيادة التحسين فى التيمز ونيل الحرية للصحافة الانكليزية . ولم يترك وسيلة ، كبرت أو صغرت ، إلا اتخذها فى سبيل التقاط الاخبار الصحيحة . ففى سنة ١٨٠٥ كان أول من أذاع خبر انهزام ماك فى مدينة ألم ومعركة الطرف الأغر ومصرع نلسن ومعركة استرليتز . وفى سنة ١٨٠٦ معركة بيتا واورسدات وفى سنة ١٨٠٧ معركة فريدلاندو وفى سنة ١٨٠٩ خبر الاستيلاء على فلشنج وهذا نشرته التيمز قبل أن يصل إلى الحكومة من مصادرها بثمان وأربعين ساعة . وعين والتر مراسلين أكفاء للتيمز فى جميع مدن أوربا واستمر مجاهداً فى سبيل استقلال التيمز وتزويدها بالاخبار وجعلها قائدة للرأى العام ولسان حاله . وقد ضمت التيمز إلى أسرتها نخبة من كبار الكتاب وفحولهم ومنهم المستر بارتر وقد تولى التحرير من سنة ١٨١٧ - ١٨٤٠ فدعيت التيمز بحق « زعيمة الصحافة الأوربية »

معاهدة برلين

اعتزل المستر دبلاين العمل فى خريف سنة ١٨٧٧ وخلفه المستر توماس تشينزى وذاعت شهرة مكاتب التيمز فى باريس المسيو هنرى بلوفتز وكان عبقريا فى جلب الأخبار الصحيحة ومن أهم أعماله التى كللت بالنجاح حصوله على نص معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وقد ظهرت بأكملها فى التيمز فى صباح اليوم التالى للتوقيع عليها فى برلين ومن جملة أعماله نشره حديثا له مع قداسة البابا ليو الثامن وحديثا آخر مع السلطان عبد الحميد .

وفى سنة ١٨٧٩ أدخل على أدارة مطبعة التيمز تحسينات هامة واستبدل بجمع الحروف باليد آلة ميكانيكية يمكنها جمع ٢٩٧ سطرا مجموع حروفها نحو ١٧٠٠٠ حرف فى ساعة .

معارضة الجريدة لسياسة غلادستون

وفى فبراير سنة ١٨٨٤ توفى المستر تشينزى رئيس التحرير فخلفه المستر « جورج باكل » وهو أحد خريجى اكسفورد وكان عمره ١٩ سنة ، واشتهرت التيمز فى ذلك العهد بمعارضتها لسياسة

غلادستون رئيس الوزارة البريطانية فندت به فى شأن ما اتخذه من الاجراءات الخاصة بالسودان والتى آلت فيما بعد إلى سقوط الخرطوم ومصرع غوردن ، والاجراءات الخاصة باعطاء الاستقلال (هوم رول) لارلندا وفى ذلك العصر ازدادت المنافسات السياسية الحزبية وفشا الفساد وكثرت الدسائس فأحرج مركز التيمز وكادت تروح ضحية الانباء التى كانت تصل اليها مشوهة فانبرت لاظهار الحقيقة وانتصرت على خصومها .

وحالما اعتزل غلادستون رئاسة الوزارة عقب فشل مشروعه الخاص « بالهوم رول » لارلندا فى سنة ١٨٨٦ عادت التيمز إلى سابق سؤددها .

وفى سنة ١٧٩٢ تلبية للسرعة المطلوبة بعثت إلى باريس مراسلا خاصا ، وهكذا استطاعت التايمز الحصول على حوادث المذابح التى وقعت فى شهرى أغسطس وسبتمبر سنة ١٧٩٢ وتنفيذ حكم الاعدام على الملك لويس فى شهر يناير سنة ١٧٩٣ وعلى الملكة مارى انتوانيت فى شهر أكتوبر

اشهار فرنسا الحرب على انجلترا وهولندا

وفى شهر فبراير سنة ١٧٩٣ كانت التايمز أول من أذاع فى انجلترا خبر اشهار فرنسا الحرب على انجلترا وهولندا . ورغما من الصعوبات التى صادفتها فقد أمكنها استبقاء مراسلها فى باريس وتعيين مكاتبين لها فى جميع المدن الكبيرة الواقعة على الحدود .

وقامت فى وجه التايمز عقبات كثيرة من منافسيها الذين لم يقدروا على مجاراتها فى الاتيان بالأخبار الصحيحة ولكنها ذللتها كلها وبلغ عدد ما وزعته من النسخ يوميا فى أوائل سنة ١٧٩٤ — ٤٣٠٠ ثم ارتفع هذا الرقم الى ٤٦٠٠ وفى فاتحة سنة ١٨٠٠ أصدرت كشفا مطولا بالحوادث الهامة التى كان لها فضل السبق فى إذاعتها .

الحكم على مؤسسها بغرامة

وفى سنة ١٨٧٦ وكانت التايمز تعرف حينئذ « بالسجل اليومى العام » حكم على صاحبها جون والتر بغرامة قدرها ٥٠٠ جنيها لقذفه فى حق اللورد لافبورو رئيس قضاة انجلترا . وفى سنة ١٧٨٩ أذيع فى التيمز أن دوق جلوستر ودوق كمبرلند لم يكونا مخلصين

فيما أظهراه من السرور لشفاء الملك بعد الاعتداء الذى وقع عليه فى سنة ١٧٨٨ فاعتبر ذلك قذفا وحكم عليه بغرامة قدرها ٥٠٠ ج والسجن مدة سنة .

وحدث أن ذهب اللورد رندولف تشرشل وزير المالية وزعيم مجلس النواب الانجليزى يومئذ وهو والد مستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية السابق ، إلى ادارة التايمز وأبلغ رئيس تحريرها أنه قد استقال من وزارة اللورد سالسبورى مع أنه لم يكن قد قدم استقالته بعد الى الملكة فكتوريا فى الحال أمر رئيس التحرير باغلاق جميع أبواب الادارة فبقى اللورد رندولف فى أحد المكاتب إلى أن تم طبع الجريدة وأخرجت للبيع . ولبثت مركبة اللورد تنتظره وكاد جوادها وسائقها يموتان من البرد .

واشتهرت التايمز فى خلال حرب البوير « ١٨٩٩ - ١٩٠٢ » بنشر أصدق أخبارها ، وعند ختام الحرب أصدرت « التايمز » تاريخا لها يعد من أحسن المصادر . وفى ٢٢ يناير سنة ١٩٠١ توفيت الملكة فكتوريا وقد بلغت التايمز أوج مجدها الصحفى .

وقد أقامت التايمز الوزارات وأسقطتها ، ورفعت الملوك ورؤساء الوزارات فى البلاد الأجنبية وخفضتهم . وهى تحاول دائماً أن تجرى على شرعة الانصاف كما تراها ، فلذلك تجدها قد ألهبت

بسوطها أصحاب المصانع وجماعات العمال على السواء، يوم رأتهم يستحقون ذلك . ولم تخش فى يوم من أيامها تنكر الجماهير لها .

ففى الحرب العالمية الأولى هاجمت لورد كتشنر المتخبط المضطرب وكان يومئذ قائداً عاما للجيش البريطانى ، وبطلا عند البريطانيين ، فهلل الناس يوم علموا أن نسخة من التايمز قد أشعلت فيها النار فى ساحة البورصة فى لندن ، ولكن الجريدة ظفرت بما تريد ، فقد صار لويد جورج رئيسا للوزارة ، وأنشئت هيئة أركان الحرب ، فعززت بذلك وسيلة الظفر فى الحرب ، وثبت صدق نظر التايمز

وإن إقدامها على مواجهة الرأى العام المعارض لرأيها حين ترى نفسها على حق ، صفة من الصفات التى تميز هذه الصحيفة العريقة . وتستطيع أن ترد عشرات من مشروعات الإصلاح الاجتماعى والبرلمانى إلى ماتبديه من الرأى فى مقالاتها الافتتاحية . وقد بدأت منذ سنواتها الأولى تكافح من أجل نشر الأخبار والتعليق عليها تعليقاً حراً دون تدخل من الحكومة ، فاقتضى ذلك منها نضالا عنيفاً مع رجال من أمثال « وليم بت » ، ومع مصالح فى الحكومة مثل مصلحة البريد .

فالصحف الأولى كانت تعتمد على إعانة الحكومة وعلى أجور خاصة تنالها من أجل أن تنشر بعض الأخبار ، وأن تحبس أخباراً

أخرى. وقد جرى جون والتر منشىء التايمز على هذا النهج، ولكنه كان برماً به، وكان يخرج عليه فى الحين بعد الحين فيسدد سهامه إلى رجال الحكم. وقد حكم عليه مرة بأن يقيد ويعرض ساعة لاحتقار الناس، وأن يسجن ستة عشر شهراً، فلما خرج كان أدنى إلى الحذر والعزم جميعاً. وقد حوكم ابنه من بعده لأنه تحدى ما كان للحكومة من سلطان على الصحافة.

وقد توسلت الحكومة بقوانين الضرائب واللوائح والرخص لكى تخضع التايمز لإرادتها، وصارت مصلحة البريد ترجىء تسليم مراسلاتها، وهددتها بإلغاء حقها فى أن ترسل الرسائل بالبريد، ولكن النصر عقد للتايمز فى آخر الأمر، فجعل مناصرتها لمبدأ حرية الصحافة مبدأ قائماً على الزمن.

وقد اهتمت التايمز بألوان أخرى من الكفاح. ففى سنة ١٨٤٠ مثلا أنفقت مالا كثيراً فى كشف مؤامرات الماليين الدوليين مزورى رسائل اعتماد البنوك.

وقد أصابت من وراء هذا نجاحا ورواجا، وعوضها تجار لندن أجرا رفضته ثم قبلته على أن يخصص جوائز توزع على طلاب العلم باسم التايمز. وفى ١٩٢٩ منحتها الحكومة البريطانية ترسا كترس النبلاء وعلى الترس صورة ذراع تتقاذف منها الصواعق

ومن هنا أطلق على التايمز « الرعاد » . وكانت التايمز تصدر فى الحرب الأخيرة فى ست صفحات ، وفيها باب لرسائل القراء وهو ممتع ، وفى الصفحة الأولى اعلانات متنوعة دقيقة الحروف . ولم تكن تحفل بالعناوين الضخمة المثيرة للاهتمام .

وأنقذ الأمريكيان هوارس أفريث هوبر ووليم مونتجمرى جاكسون التايمز من خطر الافلاس بجعلهما طبعة دائرة المعارف البريطانية تصدر باسمها

ثم اقنع هوبر اللورد نورثكليف بشراء التايمز وفى سنة ١٩٢٢ اشترى جميع أسهمها جون والتر الحفيد الأكبر لمؤسسها ، والكولونيل جون آستور .

وصحيفة التايمز هى الصحيفة الوحيدة التى تعد مؤسسة قومية ، وقد أراد صاحباها أن يضمنا ، أن لا تكون فى المستقبل سلعة تباع لأكبر مزايد ، وأن لا تقع فى أيد غير صالحة ، فألفا لجنة وجعلا لها حق منع بيعها إذا رأت ذلك ، ومن أعضاء هذه اللجنة قاضى القضاة ورئيس الجمعية الملكية ومدير مصرف انجلترا ، وقد ألقت التايمز على الناس دروسا كثيرة ، وهذه الخطة التى وضعت لكى تضمن استقلال جريدة عظيمة باقامة وصاية شعبية عليها ليست أقل هذه الدروس شأنا وخطرا .

هذا وقد أصدر « اتحاد الصحافة » بيانا عن قوة صاحبة الجلالة جاء فيه : —

تصدر فى بريطانيا ١٥٧٧ جريدة يومية و ٣١١٩ مجلة

وكل مائة أسرة فى بريطانيا تشترى :

٩٥ جريدة صباحية ،

٧٥ جريدة مسائية ،

١٣٠ مجلة من مجلات يوم الأحد ،

١٦٥ مجلة أسبوعية وشهرية .

ويقول البيان : « ان أصدق مقياس لحضارة أية أمة من الأمم هو مقدار ما تستهلكه من ورق الصحف . وعلى هذا الأساس نجد أن نسبة ما تستهلكه بريطانيا من ورق الصحف تلى مباشرة نسبة ما تستهلكه أمريكا ، وإذا قدرنا أن الجزء الأكبر من الصحف الأمريكية يضيع فى الاعلانات والصور ، وجدنا أن بريطانيا تستهلك أكبر كمية من ورق الصحف المخصص للاخبار والمقالات .